ما بين الإبداع والابتداع
الأصول العربية للقصة الغربية وأصولها الفرعونية

مصطفى عبده محمد خير(*)

مقدمة

ما بين الإبداع والاتباع ثنائية متخالفة ومتآلفة، فلابد من تخالف حتى يكون التآلف، وقد استُخلف الإنسان في الأرض ليعمر الأرض بالإبداع - للتعمير وليس للتدمير وليس بالاتباع. الأصل في (العبادات) المنع ما لم يرد نص بالإذن، والأصل في (المعاملات) الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم بمعنى إبداع في المعاملات واتباع في العبادات وليس العكس، ابتداع في العبادات واتباع في المعاملات.

يتمحور هذا البحث على ثلاثة محاور:

المحور الأول:

أن أعمدة القصة الغربية لها أصولها العربية والفرعونية للروايات الغربية في القصص (الغرامية- والفروسية- والفكرية- والخيالية).

المحور الثاني:

عن الإبداع والاتباع بالانفتاح والانغلاق، وهناك ثورات علمية متتابعة (معلوماتية وبيولوجية وتكنولوجية)، فلابد من ثورات (قيمية) تقابل هذه الثورات العلمية (فكرية وأخلاقية وجمالية) من خلال اتساق إبستمولوجي (معرفي) لمحاور هيرمينوطيقا التراث وفينومينولوجيا التجديد.

(*) بروفيسور امتياز، أستاذ كرسي علم الجمال، جامعة النيلين / السودان.

المحور الثالث:

يتمحور حول الندءات المتتاليـة والمتوالية والمتعالية بدءاً بنداءات (بتاح حُتب و إيبوور وأخناتون وحسن حنفي).

النداءات المتتالية في مصر القديمة والمعاصرة:

١- نداءات (بتاح حُتب) الأخلاقية في القرن (٢٨- ق.م) في مصر القديمة.

٢- نداءات (إيبور) النقدية في القرن (٢١- ق.م) في مصر القديمة.

٣- نداءات (أخناتون) الجمالية في القرن (١٤- ق.م) في مصر القديمة.

٤- نداءات (حسن حنفي) الإبداعية في القرن (٢١ الميلادي) في مصر المعاصرة.

في الانتقـال مـن العقيـدة إلى الثـورة، ومـن النقـل إلى العقل، ومـن الاتبـاع إلى الإبداع، ومن الفناء إلى البقاء من خلال ثورة فكرية وأخلاقية وجمالية لتحقيق إنسانية الإنسان، بالعقل الإبداعي ومن خلال الحاسة السابعة الإبداعية لقيم (الحق والخير والجمال).

المحور الأول

الأصول العربية للقصة الغربية وأصولها الفرعونية

يعتبر الأدب أوسع الفنون انتشاراً وأكثرها التصاقاً بالناس لأن وسيلة التعبير فيه هي (الكلمة) والتي عن طريقها انتقل الإنسان من البهيمية إلى الآدمية ومن البشرية إلى الإنسانية كوسيلة لنقل الأفكار ونقل العواطف والوجدانيات، وقد تنزلت الأديان السماوية (بالكلمة) في المنطقة العربية (الحنفية- اليهودية- المسيحية- الإسلام). وللكلمة الفضل في البناء الحضاري. وهكذا يرى المستشرقون أن للعرب (شعر) وليس لديهم (نثر) أو (قصة). حتى الشعر العربي شكوا في وجود شعر جاهلي، حيث نشر المستشرق الإنجليزي (مارجوليت) بأن الشعر الجاهلي إنما نُظم في العصور الإسلامية ونُسبت للعصر الجاهلي، وأيد ذلك الدكتور طه حسين، فاحتدمت المناقشات عن أصل الأدب والشعر العربي أخذ وقتاً عزيزاً من الفكر ومن الزمان في جدل لأشياء جانبية لا تقدم ولا تأخر. أن الأدب واشعر كفلقتي حبة متلازمتين متلاصقتين.

وهما الشعر والنثر (القصة). يقول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ وبهذا تنزل القرآن يتحدى العرب أهل اللغة بنفس اللغة ليأتوا بمثله أو أمم مثله والقرآن بكلماته العربية معجزة خالدة عبر الأزمنة والأمكنة.

(الإعجاز اللغوي/ علمي/ رقمي/ منهج وكتاب ومعجزة/ تناسق مع الزمان والمكان والإنسان/ من (٢٨) حرف لا يُوتي من مثله/

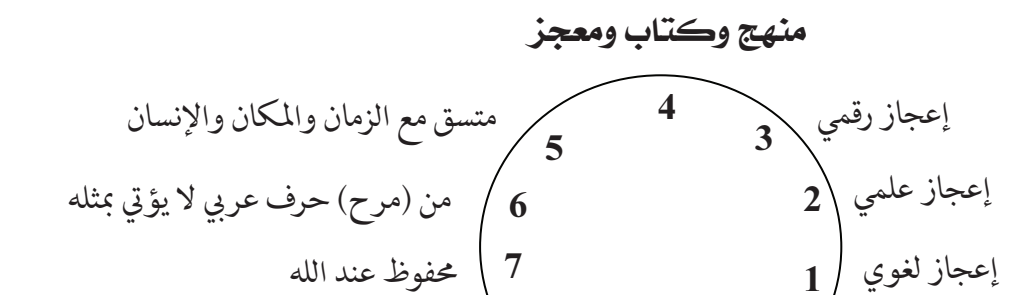

الإعجاز القرآني بالكلمة

نريد تأكيد أن للعرب قصة حتى إنها سبقت القصة الغربية بخمسمائة عام، بل أن القصة الغربية لها أصولها العربية والفرعونية وقد اعتمدت القصة الغربية على أعمدة أربعة ومن هذه الأعمدة الأربعة تطورت القصة الغربية الحديثة والمعاصرة وهي:

١- روايات الفروسية والبطولة والمغامرة في القرن (١٧) بدأت بقصة (دون كيخوته) أو (دون كيشوت) للكاتب الأسباني (فيجيل دي سيرفانتس).

٢- الراويات العاطفية والغرامية في القرن (١٦) تبدأ بمسرحية شكسبير (روميو وجوليت)، والهولندي الطائر لـ (فانجر).

٣- الروايات الخيالية والخرافية في القرن (١٨) بقصة (روبنسن كروزو) كتبها الروائي (دانيال ديفو).

٤- الروايات الفكرية والذهنية في القرن (١٤) نجدها في ملحمة (الكوميديا الإلهية) أو (جحيم دانتي) كتبها الشاعر الإيطالي (دانتي اللجيري) [١].

هذه البدايات الأولى للقصة الغربية ونجد أن لهذه القصص والروايات أصولها الشرقية قبل هذه القصص الغربية عند العرب وفي القصص الفرعونية بمصر القديمة، وفي هذا يقول المستشرق (جوستاف لوبون) أن العرب هم الذين ابتدعوا روايات الفروسية، وكيف أنهم كانوا يتحلقون حول الراوي يستمعون ويستمتعون بالقصص والروايات حتى لو كانت غير حقيقية.

الأصول العربية للقصة الغربية وأصولها الفرعونية

أولاً: روايات البطولة والفروسية:

نجد أن (دون كيشوت) أو (دون كيخوته) فارس يحارب طواحين الهواء وهذه الرواية تُشابه سيرة عنتر بن شداد العبسي. أطلق سيرفانتس اسم السيرة على الرواية بقوله: سيرة السيد

(١) محمود ذهني مقال بمجلة جامعة القاهرة بعنوان الأصول العربية للقصة الغربية، العدد الثاني-١٩٧١م.

العبقري دون كيشوت دي لا منشا، وهو نفس العنوان لسيرة دون كيشوت تابع اسمه (سانشو بانشا) فهي شخصية طبق الأصل لشخصية (شيبوب) أخ عنترة. وقد قسم سيرفانتس الرواية لفصول تطابق فصول سيرة عنترة، كما نجد أن هناك أسماء عربية في رواية (دون كيشوت) لا تحكي عن أي شيء سوى محاربة طواحين الهواء، إلا أن لعنترة قضية الفصل العنصري وقضية العبودية والاستعباد، ومع ذلك فإن عنترة شاعر وفارس له معلقة في الكعبة، معلقات الشعر الجاهلي (سبع معلقات).

ثانياً: الروايات العاطفية والغرامية:

على رأسها رواية (روميو وجوليت) وهذه الرواية تروي قصة عاشقين في قرية إيطالية هي قرية (فيرونا) لعاشقين عاشا في حب وعشق وتدخل الوشاة والخائنين وفرقوا بينهما وضاع الأمل وأخيراً انتحرا واضعان نهاية لحبهما الرومانسي، هذه المسرحية (روميو وجوليت) إحدى روايات شكسبير وهي تختلف شكلاً ومضموناً عن رواياته الباقية مثل (هاملت، ماكبث، عطيل، تاجر البندقية)، فمن أين استقى شكسبير روايته (روميو وجوليت) العاطفية والحب العذري، مع العلم بأن الحب العذري غير موجود عند الأوروبيين ولكنه منتشر عند العرب مثل (مجنون ليلى- عنتر وعبلة - كثير وعزة- قيس ولبنى- جميل وبثينة).

وبهذا نجد كتاب (التيجان في ملوك حمير) تأليف (وهب بن منبه) يحكي عن سيرة (الحارث الجرهمي) آخر ملوك بني حمير والذي عاش مائة عام ملكاً ثم ارتكب إثماً في حق الآلهة فكانت اللعنة بأن يعيش باقي أيامه تائهاً في الصحراء، وقد أخذ (فانجر) من هذه القصة لقصته (الهولندي الطائر) الذي تاه في المحيط مثلما تاه الجرهمي في الصحراء.

ويروي الجرهمي عن قصته تحت عنوان (مضاف ومي) كانا قد أحبا بعضهما البعض ولكن الوشاة أفسدوا هذا الحب، فهام (مضاف) في الصحراء حيث مات عطشاً، وعندما سمعت (مي) بالقصة ذهبت للصحراء حيث قبر مضاف وماتت عند قبره في الصحراء، فكانت نهاية درامية ورومانسية مثل (روميو وجوليت).

ثالثا: الروايات الخيالية والخرافية

وهي رواية (روبنسن كروزو) للأديب (دانيال ديفو) بأن (روبنسن كروزو) وجد

في جزيرة، وقد استطاع أن يعيش مع الحيوانات والطيور والزواحف ونجد مثل هذه القصة في قصص الرحلات، مثل رحلات (جيلفر) في بلاد الأقزام، وفي بلاد العمالقة للمؤلف (جونثان سويفت) وهذه القصص مأخوذة من قصص (ألف ليلة وليلة ورحلات السندباد البحري).

وقصة (روبنسن كروزو) مثل قصة (حي بن يقظان) لمؤلفه الفيلسوف (ابن طفيل) لقصته لـ (حي بن يقظان) الذي وجد طفلاً في جزيرة كفلته غزالة مات وليدها، وبعد موتها ابتدأ (حي بن يقظان) يبحث عن الموت وعن الحياة وعن الكواكب والشمس والقمر وعن الكون وعن الخلق حتى اهتدى إلى معرفة (الله سبحانه) عن طريق العقل والفكر والتأمل بدون وساطة. وفي هذه القصة يريد ابن طفيل التوفيق بين العقل والنقل، وأنه يمكن الاهتداء إلى الله بواسطة العقل أيضاً وجاء إلى هذه الجزيرة (سلامان) اهتدى إلى الله بواسطة النقل، أي بواسطة الرسل وقد عاشا في هذه الجزيرة حتى وافتهم المنية، وبهذا يكون (دانيال ديفو) قد أخذ الجانب المادي من حياة (حي بن يقظان) تاركاً الجانب الفلسفي والديني والرمزي التي هدف إليها الفيلسوف (ابن الطفيل).

رابعاً: الروايات الفكرية والذهنية

كان للعرب في الجاهلية مطارحات شعرية في سوق (عكاظ) ومعلقات في الكعبة لكل معلقة أكثر من مائة بيت، كما نجد (الملاحم) في الأدب اليوناني القديم بملحمتي لـ (هوميروس) (الإلياذة والأوديسا) و(الإنيادة) لفريجل وأخيراً (الكوميديا الإلهية) أو (جحيم دانتي) للشاعر (دانتي اللجيري) حيث يصف دانتي لرحلة خيالية قام بها مع حبيبته (باتريس) إلى العالم الآخر حيث رأى الشعراء أدلاء له في رحلته الفكرية، ونجد مثل هذه الملحمة في (رسالة الغفران) للمعري التي كتبها للرد على (ابن القارح) الذي جاء من المغرب ليتحدى (المعري). وجحيم دانتي شبيهة برسالة الغفران للمعري، وجحيم دانتي شبيهة أيضاً للإسراء والمعراج النبوي والتي تُرجمت إلى اللاتينية.

وهكذا نجد أن الأصول العربية هي أصل للقصة الغربية خاصة في أعمدتها الأربعة التي ذكرناها، وقد سبقت القصة الغربية بخمسمائة عام.

وهكذا يؤكد أن للعرب قصة بجوار ما لديهم من أشعار. وكذلك نجد أن للعرب (موسيقى) أيضاً مثال الفارابي الفيلسوف والعالم والموسيقى فقد كان الفارابي في مجلس لأحدى الخلفاء

وقد تغلب الفارابي على جلساء الخليفة وهم الحاشية في المواضيع الفكرية المطروحة، ولكي يبهر الخليفة الفارابي أمر بالغناء والموسيقى ليسكت الفارابي الذي تغلب على علماء دولته. فأخرج الفارابي آلة وعزف عليها فضحكوا، ثم عزف ثانية فبكوا، ثم عزف ثالثاً فناموا، فتركهم نائمين وخرج. وهذا يؤكد أن للعرب موسيقى تُضحك وتُبكي وتُنوم وتُعالج أيضاً أي الفنون الزمانية (الشعر والقصة والموسيقى) تفوقوا على فنون الغرب (الزمانية).

أعمدة القصة الغربية وما يقابلها من القصة الغربية

أقسام القصة	الروايات الغربية	المؤلف الغربي	القصة العربية التي سبقتها
الفروسية والمغامرات	دون كيشوت	سيرفانتس	عنتر بن شداد
الغرامية والعاطفية	روميو وجوليت	شكسبير	مضاف ومي للحارث الجرهمي
الذهنية والفكرية	الكوميديا الإلهية أو جحيم دانتي	دانتي اللجيري	رسالة الغفران للمعري والإسراء والمعراج
الخيالية والخرافية	روبنسن كروزو	دانيال ديفو	حي بن يقظان لابن طفيل

أما أصولها الفرعونية نجدها في:

- يمكن تصنيف قصة (الملاح وجزيرة العجائب) كنموذج للخيال العلمي تدور حول المغامرات (للملاح المصري في جزيرة العجائب) مثلها مثل مغامرات (روبنسن كروزو) وكذلك مغامرات (حي بن يقظان) التي سبقت روبنسن كروزو وهذه القصة المصرية سابقة لقصة حي بن يقظان لابنه الطفيل أيضاً.
- وتحكي لنا القصص المصرية القديمة عن (أوزيريس) في عالم الموتى، وهي حكاية فلسفية مثيرة تبدأ حين كان الأمير (ستنا) وهو أحد أبناء رمسيس الثاني وكانا واقفان على شرفة قصرهما المطل على النيل، وكان معه ابن (سي أوزيريس) أي عطية أوزيريس ولهذا الابن له قدرة فائقة على الخيال واقتحام المستقبل وتخيل الحياة والمستقبل بعد الممات وعن الجنة والنار ومشاهدته لهما حيث سبحا في عالم الأرواح والأموات.
- الكوميديا الإلهية لدانتي ورسالة الغفران للمعري أصلهما فرعوني بمصر القديمة[1]

(١) مختار السويفي أم الحضارات لأول حضارة صنعها الإنسان، ص (٧٤).

حيـث قاعة المحكمة والنعيم في حقول (أبارو) والجحيم للأشرار. حيث يحيي الموتى بعد الموت الدنيوي للحساب ليدخل الجنة أو النار في الحياة الآخروية.

وهكـذا نجـد كثير من قصص الخيال نجـد لها أصول فرعونية قبـل آلاف السنين، ومصر سباقة لإبداع الإنسان القديم في وادي النيل، أولى حضارات العالم.

المحور الثاني
ما بين الإبداع والاتباع

يتحدث الفلاسفة عن ترقي الحياة الخلقية، فيشيرون إلى مستويات ثلاثة مستوى الغريزة ومستوى العرف ومستوى الضمير، ولكننا نرى أن ترقي الحياة الخلقية تنتقل من مستوى الطبيعة والمحاكاة إلى مستوى العقل والفكر ثم إلى المجال الإبداعي والتعامل مع طبيعة الأشياء. والأخلاق مهمة لا تقف عند حد نشر المعايير الجماعية والقيم التقليدية بل هي تمتد إلى خلق روح النقد والإبداع والابتكار في نفوس كل من الأفراد والجماعات. وهناك صعوبة في التوفيق بين الحاجة إلى الاتباع والمسايرة، والحاجة إلى الإبداع والمبادأة، ولكن الفهم الصحيح هو المزج بين هاتين الحاجتين لاستشراف المستقبل من خلال أصالة الماضي مروراً بحاضر لا يزول بمعنى الأخذ بالاتباع من خلال الإبداع.

هناك حزبين من الأخلاق يقابلان هذين الاتجاهين، أخلاق مغلقة تتجه بطبيعتها نحو الوراء تمثل حياة الاتباع والمسايرة، وأخلاق مفتوحة تتجه بطبيعتها نحو الأمام وتمثل حياة الإبداع والمبادأة.

الأخلاق المغلقة نجدها عند الجماعات المغلقة التي تشبه حياة النمل والنحل، أما الأخلاق المفتوحة فتتجاوز حدود الجماعة وتتسم بالخلق والإبداع.

أما الأخلاق المغلقة تتضمن تحقيق الإلزام عن طريق تنظيم اجتماعي يخضع فيه كل فرد لمقتضيات الحياة الجمعية فيتألف من ذلك عقل جمعي. وليست الأخلاق بهذا المعنى سوى جهاز من العادات تنحصر مهمتها في صيانة كيان المجتمع فالقاعدة الكبرى في كل أخلاق مغلقة هي العمل عن صيانة التقاليد النافعة للمجتمع. من هنا فإن المثل الأعلى للمجتمع المغلق على ذاته هو تهذيب أفراده تهذيباً اجتماعياً صالحاً يضمن للجماعة أسباب التعاون والتآزر، ولهذا فإن الحرب ضرورة اجتماعية تقتضيها حاجة الأفراد إلى الدفاع عن ممتلكاتهم الجمعية ومصالحهم المشتركة.

أما الأخلاق المفتوحة فهي ليست وليدة ضغط اجتماعي، بل هي صادرة عن نزوع سامٍ تتمثل فيه جاذبيته القيم وفيه تعبير عن استجابة الفرد لنداء الحياة الصاعدة. [١]

(١) زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، ص١٥٥.

فنحن بإزاء أخلاق إنسانية تدعوه لتجاوز حدود الجماعة وليس الفارق في الأخلاق الإنسانية المفتوحة، والأخلاق الاجتماعية المنغلقة مجرد فارق في الدرجة بل هو فارق في الطبيعة، فالأخلاق الاجتماعية تنحصر مثلها الأعلى في تحقيق العدالة والتضامن الاجتماعي. نجد أن الأخلاق الإنسانية تنزع نحو العمل لصالح الإنسانية.

فالأخلاق المغلقة لا تنتشر إلا عن طريق الدفع من الخلف، بينما الأخلاق المفتوحة لا تنتشر إلا عن طريق الجاذبية للأمام لأفراد نماذج فردية يعجبون به وينجذبون نحوه، فالأخلاق الإنسانية لا نقوم إلا تقوم على الاستجابة لهذا (النداء). وهذا النداء لا يخاطب العقل فقط بل يخاطب الإحساس أيضاً، هذا وقد خاطب القرآن الإنسان عقلاً ووجداناً لبرهان جمالي يحمل في طياته لغة العقل لعقل مشرب بالمعنى الجمالي. ولا يكتفي هذا النداء بالحجة والاستدلال بل بالقدوة والمثال وانفعال نفسي عميق ينحو نحو الخلق والإبداع من خلال انفعالات حية متصلة بالصورة الحيوية، كما أن الأخلاق المفتوحة تخاطب الإنسانية جمعاء من خلال الأفراد فلا تعمل من أجل مجموعة خاصة فقط. وفي هذا يقول الفيلسوف الفرنسي برجسون: «أن الأخلاق الإنسانية هي أخلاق متفتحة تتداعى أمام ناظريها شتى العوائق المادية وتستشعر النفس بالغبطة الروحية وقد أخذت بمجامع القلوب» وخير مثال لتلك الأخلاق_ فيما يقول برجسون_ أخلاق المسيح ذاتها فهو أحسن تعبير للنفس المتفتحة. إذن فيما يقرر برجسون أن الأخلاق الإنسانية هي اتباع مثال ونموذج خلقي ينتشر لباقي الأفراد، وعليه يمكن لنا أن نقول ونقرر بأن الأخلاق الإنسانية جُمعت في أخلاق الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وهو نموذج للناس كافة لأن رسالته للناس كافة، وكان خلقه القرآن بمعنى أن أخلاقه نموذج يتبع ما دام القرآن وهو المنهج السائد والسائر إلى يوم القيامة. والقرآن كلام الله، والكلام صفة له والصفة باقية ببقائه ليس كفعل الله باقية بإبقائه للفعل، فالقرآن باقي ببقاء الله سبحانه وتعالى لن يكون له مثيل فليس كمثله شيء.[1]

أما الأخلاق المفتوحة لا تقوم على قوانين صارمة وملزمة بل على الاستمالة والقدوة الحسنة، في حين أن الأخلاق المغلقة تستند إلى قوانين صارمة وضرورات اجتماعية.

والأخلاق الإنسانية المتفتحة عبارة عن نداءات توجه إلى الضمير الإنساني من خلال

(١) مصطفى عبده- مدخل لفلسفة الأخلاق، ص (٣٣-٣٢).

انفعال يستحيل إلى أفكار هو في صميمه أسمى من الفكرة. وهكذا نجد أن الأخلاق المنفتحة انتقال من التضامن الاجتماعي إلى الإخاء الإنساني، أي من تعاون إلى تضامن وتكافل و إخاء.

ولهذا وحد كثير من الفلاسفة بين الخيرية Goodness والإبداعية Creativness بدعوة أن السلوك يكون بالضرورة أفضل حين يجئ أشد أصالة من خلال (المحبة) لا بمجرد أحساس بالـ(الواجب) فقط، والمحبة هي السلوك المحرك للأخلاق الإبداعية في تجاوزها دور الجماعة لتمتد للإنسانية وهناك ثلاثة مستويات للأخلاق:

١- أخلاق القانون: يجعل سلوك الخير مجرد طاعة لقواعد قانونية.

٢- أخلاق الحرية: الذي ينظر للإنسان كائناً عينياً مختاراً.

٣- أخلاق الإبداع: لخلق شيئاً جديداً وفريداً ومبدعاً (الأخلاق الجمالية).

والأخلاق الإبداعية وليدة الحرية إذ يصل كل فرد بوصفه ذلك الشخص المعين، ويكون فعله وليد ابتكار نابع من ضميره ملتزماً بالحرية الإنسانية والأخلاق الإبداعية نابعة من العقل الإنساني، ولكن من أي عقل؟ أهو العقل البشري الواعي أي العقل الظاهري، أم من فطرة داخلية تسير بالقانون الداخلي من خلال العقل الباطني المستور لتظهر الأخلاق الإبداعية من خلال (عقل إبداعي) وهو العقل الذي أختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات. بما فطر فيه من طاقة إبداعية على تفجيرها.(١)

ولهذا يمكن أن نقرر أن الخيرية بمعنى من المعاني هي مظهر من مظاهر عملية إبداع القيم وفيه انسجام للتنغيم الداخلي مع الإيقاع الجمالي. فالحياة الخلقية ليست مجرد خضوع سلبي لبعض المتطلبات وتنفيذ لقواعد، بل هو تنسيق وتنظيم داخلي لابتكار أساليب سلوكية واتساق مع مضامين (العقل الإبداعي).(*)

ولعل ما يساعد الفاعل الأخلاق على ابتكار الحل المناسب في المواقف الأخلاقية باستعمال الحدس الخلقي استناداً إلى الوجدان المبدع فيهيمن على القيم الخلقية المناسبة لحالات الضمير الإنساني لكل المواقف الإبداعية لينكشف لكشف القيم الأخلاقية الإبداعية.

---

(١) مصطفى عبده- دور العقل في الإبداع الفني- ص١٢٦.

(*) العقل الإبداعي عقل اختص الله به الإنسان المستخلف ليعمر الأرض بالإبداع وهي محاولة لوضع نظرية في علم الجمال.

الحواس والحاسة السابعة الإبداعية

	حاسة السمع	حاسة البصر	العقل الإنساني	الحواس	
١.	سماع	إبصار	عقل ظاهري	الحواس الخمس	٥
٢.	استماع	بصيرة	عقل باطن	الحاسة السادسة	٦
٣.	استمتاع	استبصار	عقل إبداعي	الحاسة السابعة الإبداعية	٧

ما بين الإبداع والاتباع

	أخلاق الاتباع	أخلاق الإبداع
١	قيم تقليدية	خلق روح النقد
٢	الاتباع والمسايرة	الإبداع والمبادأة
٣	مغلقة	منفتحة
٤	دفع من الوراء	نحو الأمام بالانجذاب
٥	إرضاء الجماعة	تجاوز الجماعة للإنسانية
٦	ضغط اجتماعي	جاذبية مثالية
٧	قوانين صارمة	قدوة حسنة
٨	نحو الوراء	نحو الأمام
٩	العدالة والتضامن	أخلاق إنسانية
١٠	ثابتة	صاعدة ومتحركة
١١	إلزام من الخارج	التزام من الداخل
١٢	قيد	حرية

فالأخلاق الإبداعية هي عبـارة عن نداءات إلى الضمير الإنساني والمجتمع الإنساني، وهي نداءات أخلاقية ونقدية وجمالية و إبداعية:

١- نداءات (بتاح حُتب) الجمالية/ الميزان العدلي في الماعت القرن (٢٨ ق. م).

٢- نداءات (إيبوور) النقدية والحالة الاجتماعية، القرن (٢١ ق. م).

٣- نداءات (اخناتون) الجمالية (يوتوبيا) أخناتون، القرن (١٤ ق. م).

٤- نداءات (حسن حنفي) الإبداعية من النقل للعقل ومن الفناء للبقاء، القرن (٢١ ميلادية).

المحور الثالث
النداءات المتتالية والمتوالية والمتعالية في مصر القديمة والحديثة

عبر الزمان والمكان والإنسان (إنسزمكان)

١ ـ نداءات (بتاح حتب):

١. نداءات (بتاح حُتب) الأخلاقية في القرن (٢٨- ق. م) بمصر القديمة.

٢. نداءات (إيبور) النقدية في القرن (٢١- ق. م) بمصر القديمة.

٣. نداءات (أخناتون) الجمالية في القرن (١٤- ق. م) بمصر القديمة.

٤. نداءات (حسن حنفي) الإبداعية في القرن (٢١- ميلادية) بمصر المعاصرة.

النداءات كثيرة عبر عصور الإنسان منذ كان وحتى الآن، نداءات الأنبياء والمرسلين والمصلحين والدعاة والثوار في محاولتهم لتحقيق إنسانية الإنسان المهدرة، ذلك الإنسان المنسي الذي نسي نفسه بنفسه.

أ - نداءات (بتاح حُتب) الأخلاقية والميزان العدلي في (الماعت):

- أهمية (بتاح حُتب) في التاريخ ابتدأ فهمها بعد اكتشاف (حجر شباكا) وهو الحجر الذي يعود للملك (شباكا- Shapaka) وكانت كلمة (بتاح) بداية للإبداع والصناعات والابتكارات، وتمت عبادته كإله خالق ورباً للفنون وكل الصناعات، ويظهر بتاح في شكل إنسان بدون تحديد واضح لأعضائه يحمل في يده عصا برأس وتنتهي بشوكتين وهو معبود مدينة ممفيس المقدسة يمثل قلبه الفكر ولسانه الكلام، فالقلب يوحي بالفكر إلى اللسان الذي ينطق وهو أحد أركان (ثالوث منف) (بتاح - سخمة - نفرتم).
- أولى حضارات العالم كانت في أفريقيا وأول حضارة أفريقية كانت على النيل حيث نبعت أولى حضارات العالم.

- كلما تأمل إنسان وادي النيل جريان النيل تخيل الأزلية والأبدية فانفعل بشروق الشمس وغروبها فتولدت لديه تصورات شكلت نواة عقيدته التي أصبحت عماد الحياة ومحور الأدب وموضوع الفن، فتوصلوا إلى عقيدة التوحيد وفلسفة الحياة والموت فتخيل الحياة بعد الممات، فجاشت نفسه بملامسة الطبيعة فتكلم الحجر الأصم في بناء الحضارة المصرية الشامخة لتحكي حضارة مصر الخالدة، فكانت عقيدة (الخلود) السبب في خلود حضارتهم عبر العصور[1]. ومن (التحنيط) خرجت نظريات علمية وحضارية.

- وقد ظهرت الفلسفة النظرية وحتى التطبيقية والاجتماعية في مصر القديمة قبل اليونان بـ(٢٣) قرناً، حيث ظهر فكر (بتاح حُتب) في القرن (٢٨- ق. م) الأخلاقي والميزان العدلي الذي نادى به (بتاح حُتب) في (الماعت) و(الماعت) يعني العدالة والنظام السياسي كأول ثورة فكرية في مصر القديمة.

كان (الماعت) لب الفكر والفلسفة في (أون-آنو-واست) وظهر في هذه المدن القديمة حكماء وعلماء لهم مذاهب فلسفية مثل (المذهب الشمسي، والمذهب الأشموني، والمذهب المنفي)[2] وأضيف المذهب الاخناتوني.

قدم بتاح حُتب تعاليم أخلاقية كأول رائد للفكر الأخلاقي في مصر القديمة حيث أوضح رأيه في المعرفة والفضيلة والسياسة، مقارناً بين العلم والقيم الأخلاقية وهي الحكمة النظرية والتي أطلق عليها فيما بعد بـ(الفلسفة) وفي القرن الخامس قبل الميلاد عند اليونان بمعنى (محبة الحكمة) أي الفلسفة Philosophy.

ويدور فكر (بتاح حُتب) الأخلاقي حول (الماعت) للدلالة على ما يفيد العدل والنظام والخير والصلاح، أخذت مكانة سامية في فكر بتاح حُتب الأخلاقي والسياسي، ويمكن القول بأن هذه الأفكار هي أول ثورة فكرية في التاريخ تنادي بالـ(الحرية المدنية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية)، وهذا هو شعار كل الثوارت القديمة والحديثة. وكانت مصر أول ثورة على الإقطاع، وفي الحقيقة أن ظهور

(١) مصطفى عبده- أخناتون والثورة الجمالية- الجمعية الفلسفية المصرية- ٢٠٠٧م.
(٢) راجع كتاب د/ مصطفى النشار، الفكر الفلسفي في مصر القديمة- الدار المصرية ٢٠٠٤م.

الحضارات كانت في الـشرق مثل الفلك والرياضيات ولكن (اليونان) أعطوها العلمية مثل علم الفلك وعلم الرياضيات حيث تولدت من الفلسفة علمية العلوم.

وهكـذا يكون بتاح حُتب سـبق أخناتـون بـ(١٤) قرناً، ويكون أخناتون سـبق الفكـر اليونـاني بــ(١٠) قرون، وجمهوريـة أفلاطون نظريـة وخياليـة إلا أن مدينة (أخيتاتـون) هي مدينة حقيقية في تل العمارنة، حيث طبق (أخناتون) أفكاره الدينية والجمالية والسياسة في (أخيتاتون).

ب- نداءات (إيبوور) النقدية (القرن ٢١- ق. م):

عاش (إيبوور) في القرن (٢١- ق. م)، في عهد بيبي الثاني، الأسرة السادسة (٢٤٣٠-٢٢٣٠- ق. م) حيث يصف حالة الفوضى الخلاقية والسياسـية والاجتماعية التي عمت البلاد وقـد تعددت الصور النقدية التي قدمها (إيبوور) فشـملت كـل مناحي الحياة السياسة والاجتماعية.

يقـول (إيبور): «لقـد ابتلت البلاد بعصابات اللصوص وعـلى المرء أن يذهب إلى المدينـة ومعه ترس، أن الجريمة في كـل مكان، والرجال المفلسـون أصبحوا أصحاب ثـروات، الأغنيـاء ينتحبـون والمعوزيـن في فرح، أن الذين شـيدوا المنـازل يعملون في الحقـول، ومن كانوا في قارب الآلهة يساقون للعمل، وقد اختفت البسمة وشـكوى مختلطـة بالنحيـب، أن الكبار والصغار يتمنون الموت ويقـول الصغير ما كان لأبي أن يمنحني الحياة»[(١)].

ويستمـر (إيبوور) في نقـده للواقع المهين ويقـول (أن الذي لم يكن لديه شـيئاً أصبـح يمتلك كل شيء ومن كان لا يمتلـك خبزاً امتلك مخبزاً والتي كانت ترى وجهها في الماء تمتلك مرآة نحاسية وكانت النتيجة انقلاب الأوضاع وعدم التقديس والاحترام، فانتشرت صور الجريمة والفوضى الحضارية)[(*)].

وهكذا انتقد (إيبـوور) الأوضاع الاقتصادية والتجاريـة والأحوال العسكرية

(١) مصطفى النشار، الفكر الفلسفي في مصر القديمة- ص (٨٨).

(*) ووكأن (إيبوور) في القرن (٢١- ق. م) معنا في القرن (٢١ الميلادي) ما كان في القرن (٢١) قبل الميلاد هو نفسه في القرن (٢١) ميلادية؟!

وكـل الأوضـاع السيئـة أصبحت مشـاعة لدرجة أن الملـك يستمع إلى هـذه الأحوال النقديـة. هذا وقد أيد الملك هذه الانتقادات مما يـدل أن هناك بعض من الديموقراطية التـي تقبل النقد- حيث أن النقد كان حقيقياً لا يستطيع أحد إنكاره حتى الملك نفسه لم يعترض على هذه الانتقادات الحقيقية.

وهـذه اللمحات النقدية تؤكد وجود مساحـة للحرية، كما وجدنا هذه الانتقادات لبتاح حُتب وسعيه للعدالة من الماعت، وبرديات (إيبوور) تؤكد وجود الفكر النقدي.

ج- نداءات أخناتون الجمالية والدينية والسياسية:

- أخناتـون أول ملـك فيلسوف يقود ثـورة ضد نفسه الفرعونية، وضـد فساد الكهنة والانحرافـات التعبدية الوثنية ودعوة للحرية والعدالة وممارسـة الحرية الإبداعية والفضيلة الأخلاقية فكان فكر أخناتون ضد قدسية الكهنوت وضد قدسية الفنون وضـد قدسـية الفراعنـة حيث نـادى (أخناتون) بالتوحيـد في عبـادة (آتون) الحي وآتـون القوة الكامنة فيما وراء الشـمس. وكـان الفن الذي دعا إليـه أخناتون حباً جديـداً للحقيقة الواعية وحساسـية ورهافة وهذه الثـورة أول ثورة حاملة للمعاني الجمالية المرهفة وهذه الثورة أول ثورة (سـيإجمالية)، أي سياسـية من خلال الجمال في التاريخ.
- يردد أخناتون أناشيده لـ(آتون) بقوله في جبانة (حورمحب):

أنت ساطع وقوي

وحبك عظيم وكبير

أشعتك تمتد لكل واحد من مخلوقاتك

ولونك الملتهب يجلب الحياة إلى قلوب البشر

عندما تملأ بحبك الأرض ومن عليها

أنت الواحد الأحد لا شريك لك

يا إله الشمس يامن لا شبيهه له

أيها الإله المعبود أنت واحد أحد!

هذه الأناشيد وهذه النداءات الجمالية والتعبدية وهي عقيدة توحيد أغضبت كهنة آمون وكهنة الآلهة المتعددة (فاغتالوه) ولكن تعاليمه وآراءه الفكرية ما زالت مستمرة منذ العصور القديمة وحتى العصور الحديثة.

ثورة (اختاتون) هي ثورة فكرية وفلسفية وجمالية وسياسية ودينية وقد بشر اخناتون في ثورته التجديدية بالحب والمساواة والعدالة ونادى بواقعية الفن والجمال يحكى عن حياة الشعب ليس للملوك والكهنة.

وهكذا كانت فترة (تل العمارنة) قمة حضارية للحياة الاجتماعية والسياسية وتعبير عن انفعالات الشعوب في تحقيق العدالة والطمأنينة والسلام. كما نجد تأثير هذه الثورة الجمالية حتى الفن الحديث والمعاصر نجد ذلك في إبداعات (محمود مختار) وتمثال النهضة بالقاهرة وتمثال العجل آبيس (الإخصاب) بالإسكندرية.

د- نداءات حسن حنفي في القرن (٢١) الميلادي:

وهي نداءات إبداعية ونقدية من العقيدة إلى الثورة ومن النقل إلى العقل ومن الفناء للبقاء ومن الاتباع إلى الإبداع لأحداث ثورة فكرية فلسفية نقدية. ومعلوم أن الأزمة المعاصرة هي أزمة فكرية، فلابد من أصلاح فكري لتنصلح كل الأزمات المتوالية والمتراكمة، وللفلسفة دورها الرائد في البناء الفكري (المادي والمعنوي) لبلورة الفكر الإنساني.

الإنسان المعاصر حائر وجائر في الوقت نفسه، بل هو قلق ومتهور وأصبح كائناً غير مبالٍ لا شيء يلهمه ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطن، فلا يستشعر بأية دهشة أو تعجب أو حماسة أو إجلال وأصبح ينزلق فوق سطوح الأشياء.

فكان لا بد من الأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق فالإنسان الذي نريده أن يكون واعياً بنفسه وما حوله ويتمتع بقوة نفاذة ليتذوق القيم، قيم الحياة بكل ما بها من وفرة وامتلاء وخصوبة_ لكي يسترد عافيته ويستردها حاسته الإنسانية التي افتقدها من خضم الثورات العلمية المتتالية والمتعالية والمتصاعدة حيث نسى الإنسان نفسه بنفسه ليرى الجمال ويدرك المعاني ويحس بالجمال ليعمل بمقتضى الجمال ليتحول من المرتبة الطبيعية الصرفة إلى المرتبة الأكسيولوجية الحقة، فالعالم الشرقي والغربي كلاهما

ينحدران نحو الهاوية كل على سفح مختلف، فيجب إنقاذ العالم من هذا التردي المريع بالصعود نحو الهاوية وتجنب السقوط للقاع.

هذا وقد صاح أب الفلسفة (سقراط) حيثما قال أعرف نفسك بنفسك» وقد فعلها من قبله (أبادماك) إله النقعة والمصورات في الحضارة المروية عندما كان ممسكاً بمرآة في يده ينظر إلى نفسه بنفسه ليعرف نفسه بنفسه(*)، ونحن نصيح نفس الصيحة ونقول «أدركوا ذلك الإنسان الذي نسي نفسه بنفسه في خضم الثورة المعلوماتية الصاعدة والثورة البيولوجية المرعبة والثورة التكنولوجية الرهيبة. فلابد من نداءات بل ثورة وصرخات وثورات (قيمية) والانتقال من النقل إلى العقل ومن الاتباع إلى الإبداع ومن الفناء إلى البقاء، وهي نداءات (حسن حنفي) الخفية والظاهرة.

- للغرب قراءة واحدة أحادية إلا أنهم قرأوا بها فكانت لهم الغلبة الفكرية والعلمية والعملية والتفوق الحضاري وقد استخلف الإنسان في الأرض ليعمر الأرض بالإبداع مع أن للعرب والمسلمين قراءات ثلاثة ولكنهم لم يقرأوا بها، وللأسف (أمة اقرأ لا تقرأ) أدى ذلك إلى (الأمية الحضارية)، ولهذا التردي الحضاري أنبرى نفر من مفكري العرب بإطروحات دفاعية لمشاريع فكرية وبعث للعقلية العربية التي كادت أن تغيب وتخرج عن التاريخ، حيث توقفت العقلية العربية قبل ثلاثة قرون ومن هؤلاء الذين حاولوا إبراز الفكر العربي:

١- حسن حنفي للفكر المتصاعد من النقل للعقل ومن الفناء للبقاء.

٢- عبد الحليم عطية لرؤية فلسفية لما بعد الحداثة.

٣- مصطفى النشار للفكر الفلسفي في مصر القديمة.

٤- الطيب تيزيني من التراث إلى الثورة.

٥- محمد أركون في تفكيك العقل من خلال مساءلة العقل.

٦- محمد عابد الجابري قراءة جديدة للنص.

٧- نصر حامد أبو زيد سلطة النص.

(*) بالإشارة من الدكتور محمد المجتبى عبد العزيز - جامعة النيلين.

٨- محمد شحرور الدين والسلطة.

وغيرهـم كثير لا يسع المجـال لذكره، كأنصاري وعبد الأمير والألوسي وهشـام النور وزكي نجيب محمود وعبد الرحمن البدوي.

- ولهذا كـان موقف حسن حنفي ونداءاته الإبداعية باتخـاذ المنهج الثوري بالانتقال من النقـل للعقل ثم إلى الإبداع ومن الفناء إلى البقاء وقيـادة ثورة (فكرية فلسفية) قيادة قادرة وقائدة انطلاقاً من الذات إلى الثورة المبدعة.
- فكان لا بد من أسـلوب جديد من خلال قراءة جديدة للذات والفلسفة وبحث في الوجـود من خلال نظرية المعرفـة والبحث عن القيم، قيـم (الحق والخير والجمال) والفلسفـة عبارة عن تشـخيص للواقع المعاش فلابد من تجـاوز طابع النقل والتقليد والاتبـاع والمسايرة إلى التجديد والتغيير والإبداع والمبادأة على ألا تكون من خلال تراجعية وارتكاسية.
- ولهـذا يلخص (حسن حنفـي) موضوع الانطلاقـة الإبداعية بقولـه: «يمكن لجيلنا النظـر للمنطق ككل واحد، منطق العقل الخالص عند الفلاسـفة، ومنطق الشـعور عنـد الصوفية، ومنطـق الواقع عند الفقهاء، مضيفاً عليـه الجدل الاجتماعي ومنطق التاريخ».
- هنـاك ثورات علميـة متتابعة ومتصاعدة، فلابد اتساقات معرفيـة وقيمية أمام هذه الثـورات العلمية لتقابلهـا ثورات قيمية من خلال تناسـق معـرفي (أبستمولوجي) في الحـق والخـير والجمال باسـتخدام العقـل المنطقـي والسلوك الأخلاقـي والفعل الإبداعي.

التناسق المعرفي الأبستمولوجي لوسط الميزاني التآلف المعرفي

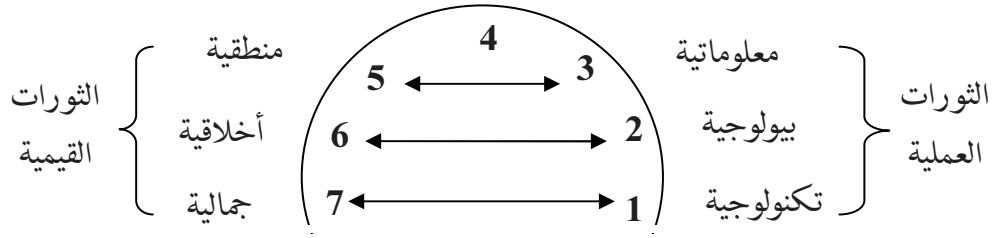

الثورات العلمية وما يقابلها من ثورات قيمية

	الثورات العلمية	العلوم ومجالاتها	الثورات القيمية	القيم
١.	الثورات المعلوماتية (المتتالية)	رياضيات/ حاسوب/ تقنية معلومات	ثورة منطقية فكرية (الهيرمنيوطيقا) المنطق العقلي	الحق
٢.	الثورات البيولوجية (المتتالية)	طب/ علوم أحياء صيدلية علم أدوية جينوم واستنساخ	ثورة أخلاقية (البيوطيقا) السلوك الأخلاقي	الخير
٣.	الثورات التكنولوجية (المتعالية)	إبداع/ مخترعات ربوت و إنسان آلي	ثورة جمالية (الإستاطيقا) العقل الإبداعي	الجمال

حسن حنفي الفيلسوف المعاصر:

تصاعد الفكر الفلسفي من مصر القديمة قبل اليونان بعدة قرون وحتى العصور الحديثة والمعاصرة من خلال نداءات متتالية من بتاح حُتب و إيبور وأخناتون حتى حسن حنفي.

وهكذا تأصلت الثورة الفكرية في نفوس وجينات المصريين التي نادت بالعدالة والحرية والكرامة من خلال نداءات متتالية، وهذه هي مطالب الشعوب المقهورة وليست للحرية قيود و إلا أصبحت جبرية بل لها حدود فقط.

والحرية عملية إبداعية مستمرة من خلال نداءات متالية ومتعالية حتى كانت نداءات حسن حنفي الثورية. فلم يكتف حسن حنفي بالمحاضرات الجامعية والكتب التي ألفها والندوات والمؤتمرات الفلسفية داخل وخارج مصر، بل آثر الكتابة في المجلات السيارة والصحف اليومية والنداءات الأسبوعية والشهرية والسنوية وذلك لينداح فكره إلى الجماهير حتى ينداح الفكر الفلسفي لعامة الناس بدون حاجز أكاديمي أو رسمي.

فالمحاضرات الجامعية قد يستوعبها الطلاب لكي ينجحوا في الامتحان وهناك طلاب ليسوا طلاب فلسفة وهناك الإنسان العادي، فكانت نداءات حسن حنفي نصل إلى كل الفئات الجماهيرية لتتوسع دائرة المهتمين بالمواضيع المطروحة لإحداث قاعدة عريضة قادرة على فهم المقصود من الرسائل الجامعية والفلسفية التي يرسلها حسن حنفي.

هـذا منحى ذكي ومهم لنـشر الفكر الفلسفي بـدون تعقيدات فلسفية و إرشـادات خفية وكاروكاتورية يفهمها كل من يتلقى هذه النداءات والإرشادات الجمالية المرسلة.

وهكـذا عمل حسن حنفي لإيقاظ الفكر الإنساني و إيقاظ الشـعوب من ثباتها لإحداث ثـورة فكريـة جماهيرية، فكـان لابد هذه النـداءات (الحسـن حنفية). فكان لابـد من هذه النداءات لإيقاظ الأمة العربية والإسلامية لعلهم يستيقظون من ثباتهم ونومهم العميق_ الدول النامية أي النائمة.

لابد من يقظة شعبية وجماهيرية تستطيع أن تقول:

ثالوث الدكتاتورية الظالمة:
- لا للاستبداد، يمثله (فرعون)[1] - هكسوسي
- ولا للاستعباد، يمثله (هامان) - مصري
- ولا للإستغلال، يمثله (قارون) - يهودي

وهذا الثالوث اللعين مستمر عبر التاريخ من خلال حكومات مستبدة ومستعبدة ومستغلة لشـعوبها المغلوبة عـلى أمرها. ولهذا لجأ حسن حنفـي للمقالات السيارة التـي يقرأها الجميع. ومن هذه المقالات:

- ❐ لماذا تأخرت قضية الحرية؟!
- ❐ الإصلاح ضرورة فاعلة.
- ❐ حرية الفنان وتقليدية المتلقي.
- ❐ الحوار بين الاستعباد والاحتواء.
- ❐ وحدة الثقافة ووحدة الأمة.
- ❐ الجذب والطرد.

(١) كلمة (فرعون) اسم علم لملك مصر وهو (فرعون) موسى وهو آخر ملوك الهكسوس، وملوك مصر ليسوا فراعنة. هناك (فرعون) واحد (فرعون موسى) إلا أنه يتكرر هذا الثالوث عبر العصور والأزمنة مع الطغاة والجبارة والقتلة. ولمعرفة كلمة (فرعون) وهو اسم علم كما قلنا، أرجع لكتاب (فرعون موسى) تأليف عاطف عزت، الرواة للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ذكرت كلمة (فرعون) عدة مرات والمقصود هو (فرعون موسى) وقد ذكر القرآن كلمة ملك لملك مصر خاصة مع يوسف عليه السلام.

- ❐ الأيام الأخيرة للأنظمة.
- ❐ الطوفان القادم.

أرى أن هـذه الطريقة فعالـة ومؤثرة وواقعية لإيصال المفاهيـم الفلسفية ومفاهيم الثورة الفكريـة إلى إفهام الناس وهـذه المواضيع ترمي إلى الانفعال بقضايا الناس والشـعور بالآمهم وآمالهـم عبر الأزمـن والأمكنة من خـلال الإيقاع الزمـاني المتغير والإيقاع المكـاني المتجدد والإيقـاع الإنساني المتعالي (مكان وزمـان و إنسان) (انسزمكان) وعـلى الإنسان أن يتسق مع المكـان والزمان و إلا خـرج عن الزمـان والمكان. فالكائنـات خارجة عن الزمـان والمكان. لا تستفيد من عطاء الزمان ولا من عبقرية المكان.

وعلينا أن ننظر إلى هذا الواقع المنهار، ولسؤال وتساؤل لماذا نحن هكذا؟! وهي تساؤلات كثـيرة تعتري ذهن الإنسان في كل لحظة من لحظـات حياته المتتالية، إذن علينا أن نتساءل كما تسـاءل حسـن حنفي - لماذا تأخرت قضيـة الحرية ولماذا هذا الصمت المكتـوم والمريب إزاء تلك الأحوال المذرية لحياة الشعوب المقهورة والمغلوبة على أمرها. وحال العرب الآن لا يخفي على أحد!

الأزمة في حقيقتها هي (أزمة فكرية) ولهذا ركز حسن حنفي على الفكر الإنساني المنساب، ونـادى في مقالاته بالحرية والكرامة والعدالة وفي مقاومة الاسـتعمار الخارجي والاسـتحمار الداخـلي، ذلك لبناء حضارة إنسانية جمالية من خلال أخلاق متجملة لتصل إلى درجة الإحسان (القمة الجمالية).

مـا هي الكيفيـة والتي نخرج من ظلمين داخلي وخارجي، يظهـر ذلك من خلال نداءات (حسـن حنفي). فيجب الأخذ بهذه النـداءات وفهمها والعمل على تفكيكها وتأليفها وبلورتها واستخلاص المعاني المنطوية داخلها و إخراجها لإحداث ثورة فكرية مبدعة.

يكون ذلك من خلال (نداءات) حسن حنفي ومشاريعه الحضارية بنقل الفكر من النقل للعقل ومن الاتباع إلى الإبداع ومن المسايرة إلى المبادأة ومن الفناء للبقاء لإنديا هذه الأفكار الثوريـة والمفاهيـم الفلسفية بلغـة واضحة ومفهومة وذلـك بفلسفة الفلسفـة بالفسفة نفسها من خلال سـمع وسماع واسـتماع واسـتمتاع لنداءات حسن حنفي (الظاهرة والخفية) وفكر حسن حنفي، فكر حصري له توجهاته وتفاسيره المختلفة لفكر متغير لما بعده.

إذن لابـد (ثورة فكرية) لتحقيق إنسانية الإنسان المهدرة لتحقيق حق الاسـتخلاف (في) الأرض ليـس بالمعـنى الغربي (الاسـتعلائي) (الإنسـان السوبرمان) وليس المعـنى الشرقي الفناء في (النرفانا) وليس بمعنى من ضاع بين هذا وذاك الإنسان (العربي) بل بذلك الإنسان المستخلف الحر أي (الإنسان النبيل).

ولابـد من الاسـتعانة واسـتعادة الإنسانيـة التي ضاعت بـين الزحام_ إنسانيـة_ الإنسان القديم سـكن الكهوف بقيادة (الشامان Shamman-) فلم يكن (دجالاً) حيث لا مال ومتاع، ولم (يكن) نصاباً فكل شيء فيه مشـاع، كان أبرز ما فيه هو الإبداع - الإنسان الفنان - الذي أبدع الإبداعات الأولى لبناء حضارة الإنسان، بالاستماع والإبصار[١]

وهكذا أخفى حسن حنفي آراءه الفلسفية في نداءات و إشارات في طيات مقالات وندوات و إشـارات إبداعية متولدة، مثلما فعل (جان بول سارتر) الذي وضع آراءه الفلسفية في روايات أدبية، و(محمد إقبال) في أشـعاره، و(شـكسبير) في رواياته، كما وضع (مصطفى محمود) آراءه الفكرية في كتب وكتيبات بلغة يفهمها كل قارئ.

الشـعوب في حاجة ملحة غذاءات لهذه النداءات، وغذاء عقلي ونفسي وفكري ووجداني بطريقة إبداعية واسـتخدام الفن من مسرحيات وروايات وفنون (تشكيلية) من نحت ورسم وتلويـن وتصميم وعمارة وفنون أدبية من (شـعر ونثر) وقصة، أي الفنـون المكانية والزمانية، وكل الفنون تهفو إلى حالة موسـيقية (مرئية ومسموعة ومحسوسـة) كأدوات للثورات الثقافية والجمالية لصحوة جماهيرية ليحكم الشـعب وتتحكم الشعوب في مصيرها لكي تحكم الشعوب على نفسها بنفسها لنفسها والاستماع والاستمتاع بالموسيقى الفيماورائية Meta Music.

و إنزال الفلسفة من عليائها ومن عش النسر ومن أبراجها العاجية إلى الواقع المعاش (بفقه الواقع) فالمطلوب (فلسفة عملية وعلمية) وواقعية تهم حياة الشـعوب، حتى تستفيد الشعوب مـن تلك النداءات حيث أن نداءات حسن حنفي ومن سـار على دربـه دافعة لمفكري العرب والمسلمين والشعوب المقهورة لتنتزع حقها في الحياة الكريمة لتحقيق إنسانيتها بالتخلي والتحلي

(١) سمع وسماع واستماع، ثم استمتاع ومعه بصر و إبصار وبصيرة و إستبصار من خلال تجلي أدوات الحواس إلى إحساسات خارجية وداخلية و إبداعية بالحواس الخمسة والحاسة السادسة (الحدس) والحاسة (السابعة الإبداعية) الذي اختص به الإنسان بما لديه من عقل إبداعي مبدع.

والتجلي، بالتخلي عن الدنايا والرذايا والبلايا والتحلي بالفضائل والتجلي بالتسامي عندما يكون الإنسان خاشعاً نقياً ومبدعاً وحراً وفياً.

وفي الختام نورد مقولة (حسن حنفي) في آخر فقرة من آخر كتبه حتى الآن (من الفناء إلى البقاء) الجزء الثاني، صفحة (٨٧٦).

و إذا كان التصوف قد نشأ نشأة داخلية كحركة مقاومة سلبية لمظاهر البذخ والترف والتكالب على الدنيا والصراع على السلطة والاقتتال عليها فإنه قد يعود اليوم في ظروف جديدة ومرحلة تاريخية مغايرة.

فالمقاومة ليست ميؤساً منها في فلسطين، وفي العراق وأفغانستان والشيشان وكشمير والصومال، ومن ثم تتغير المقامات والأحوال من الصبر والتوكل والرضاء والقناعة والتسليم والخوف والخشية والفقر إلى مقامات وأحوال أخرى من (مقاومة وتمرد وغضب وثورة و إعراض ونفي واحتجاج). وهذا هو المقصود من (من الفناء إلى البقاء). و بهذا نتفق مع حسن حنفي في هذا الاتجاه الثوري.

المستخلص

- نستخلص من هذه الدراسة أن الإبداع العربي كان موجوداً ولكنه يتأرجح بين الإبداع والابتداع في شتى مجالاته الإبداعية، ولكن توقفت العقلية العربية عن الإبداع منذ ثلاثة قرون؟! فكان لابد من نهضة فكرية من خلال التراث والانتقال من النقل إلى العقل ومن الابتداع إلى الإبداع ومن السلب إلى الإيجاب ومن الفناء إلى البقاء.
- واتضح أن أعمدة القصة الغربية سبقتها القصة العربية في الروايات (الغرامية والفروسية والذهنية والخيالية) واتضح أن لها أصولاً (فرعونية) في مصر القديمة.
- وإن الفكر الفلسفي كان بمصر القديمة نجد ذلك في نداءات (بتاح حتب) في القرن (٢٨-ق. م) وبرديات (إيبوور) في القرن (٢١-ق. م) وأناشيد (أخناتون) في القرن (١٤- ق. م) وأخيراً في نداءات (حسن حنفي) في القرن (٢١- الميلادي). لنهضة فكرية إبداعية فلسفية يقودها المفكر العربي (حسن حنفي) وآخرون.
- يكون ذلك من خلال محاور متصاعدة لتحقيق إنسانية الإنسان.

١- التعريف بالمصطلحات وتأكيد حرية الإنسان المستخلف.

٢- محو الأمية الحضارية لبناء الفرد والجماعة لبناء أمة وحضارة (جمالية).

٣- التحول من الميكانيكا العمياء إلى الديناميكية الإبداعية.

٤- خلق مجتمع معرفي وحكومة إلكترونية.

٥- الحكم حكم (بين الناس وليس حكماً (على) الناس.

٦- وضع ثورات (قيمية) في مقابل الثورات (العلمية).

٧- تربية الإنسان القادم (جيل النصر) الخاشع النقي والمبدع التقي والحر الوفي_ لثورة جمالية من خلال الوثبة الحضارية.

قائمة المصادر والمراجع

١- حسن حنفي: الذات والتجديد، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٧م.

٢- حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، مدبولي، ١٩٨٧م.

٣- حسن حنفي: من النقل إلى الإبداع، دار قباء، ٢٠٠٢م.

٤- حسن حنفي: من الفناء إلى البقاء، جـ١/ الوعي الموضوعي، بيروت، ٢٠٠٩م.

٥- حسن حنفي: من الفناء إلى البقاء جـ٢/ الوعي الذاتي، بيروت، ٢٠٠٩م.

٦- حسن حنفي: من النقل إلى العقل، الهيئة المصرية، القاهرة، ٢٠١٤م.

٧- سليم حسن: مصر القديمة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٥م. (عشرة أجزاء).

٨- فهد بن محمد القرش: منهج حسن حنفي- دراسة تحليلية نقدية، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٤هـ.

٩- مختار السويفي: (مصر) أم الحضارات لأول حضارة صنعها الإنسان، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م.

١٠- مصطفى النشار: الفكر الفلسفي في مصر القديمة، دار المعارف بمصر، ٢٠٠٤م.

١١١- مصطفى النشار: مدرسة الإسكندرية الفلسفية، دار المعارف بمصر، ١٩٩٥م.

١٢- مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣.

١٣- مصطفى النشار، الفكر الفلسفي في مصر القديمة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

١٤- محمود ذهني: مقال بمجلة القاهرة/ فرع الخرطوم (الأصول العربية للقصة الغربية، العدد الثاني، ١٩٧١م.

١٥- مصطفى عبده: دور العقل في الإبداع الفني، الجمعية الفلسفية العربية، ٢٠٠٨م.

١٦- مصطفى عبده: الإيقاع السباعي، مطبعة جامعة النيلين، ٢٠٠٧م.

١٧- مصطفى عبده: الدين والإبداع، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٨- مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مطبعة جامعة النلين، ١٩٩٥م.

١٩- مجموعة باحثين: منهج حسن حنفي هيرمينوطيقا الذات وفينومينولوجيا التجديد، إشراف: أحمد عبد الحليم عطية، القاهرة، ٢٠١٦م.

مقالات محكمة لمصطفى عبده في مؤتمرات الجمعية الفلسفية المصرية

١- مقاومة الفن للقبح، القاهرة-٢٠٠٤م.

٢- حرية الفنان والإبداع الفني، ج/القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣- أزمة الخطاب الفلسفي، ج/ القاهرة، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

٤- ثورة أخناتون الجمالية، جامعة السويس، ٢٠٠٧م.

٥- الرمزية الحياتية للعجل آبيس، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.

٦- الوافد والموروث في الفن، ج/ القاهرة، ٢٠١٠م.

٧- يوتوبيا الشعوب، جامعة بني سويف، ٢٠١٠م.

٨- الهوية بين التخالف والتآلف، ج/ القاهرة، ٢٠١٥م.

٩- سلطة النص، ج/ القاهرة، الإسكندرية، ٢٠١٦م.

١٠- نداءات حسن حنفي، القاهرة، الإسكندرية، ٢٠١٦م.